منصة الحوار
منصة الحوار والتعاون بين القيادات والمؤسسات الدينية المتنوعة في العالم العربي

EOHM
المنظمة الإلكترونية للإعلام الإنساني

حكايات شهرزاد

عن الكراهية والحروب

نبيل أحمد الخضر

عن الكراهية والحروب

يأتي إصدار الكتاب ضمن مشروع حكايات شهرزاد - مناهضة خطاب الكراهية بالحكايات

الممول كجزء من **المشاريع الحوارية** المُنفذة من طرف **مركز الحوار العالمي كايسيد** والذي يهدف لتوفير فرص للأفراد والمنظمات للمشاركة في الحوار بين أتباع الأديان والثقافات؛ كجزء من تطوير مسارهم المهني والتعليمي.

تم إنتاج الكتاب بشكل منفصل عن كايسيد، لذا فإن جميع جهات النظر والآراء والنتائج والاستنتاجات وكل ما ورد فيه؛ هي آراء خاصة بالمنظمة الإلكترونية للإعلام الإنساني EOHM ولا تعكس بالضرورة آراء مركز الحوار العالمي كايسيد أو دول أعضائه. ولا يضمن المركز ودول أعضائه دقة البيانات المدرجة في الكتاب ولن يتحملوا أي مسؤولية فيما يتعلق بالمحتوى.

تأليف:

نبيل أحمد الخضر

تحرير:

عبدالرزاق العزعزي

الكتاب من إنتاج المنظمة الإلكترونية للإعلام الإنساني EOHM

وهي منظمة غير حكومية وغير ربحية تعمل على إنتاج مواد إعلامية وتنفيذ مشاريع رقمية تعزز من ثقافة التنوع والسلام. تأسست في يناير 2020، كمؤسسة مستقلة تسعى لمناهضة كل أشكال العنف والتمييز وخطاب الكراهية.

جميع الحقوق محفوظة © المنظمة الإلكترونية للإعلام الإنساني EOHM

المحتويات

المقدمة 7

- التعرّف على أبطال الحكايات

تمهيد 10

- حكاية التقاء أبطال الحكايات العالمية

الحكاية الأولى 16

- قصة الحروب الست في اليمن

الحكاية الثانية 20

- قصة الحرب بين أتباع الديانتين الهندوسية والإسلامية في الهند

الحكاية الثالثة 26

- حكاية الحرب المسيحية

الحكاية الرابعة 32

- حكاية الحرب المسيحية

الحكاية الخامسة 38

- حكاية الحرب في رواندا

الحكاية السادسة 42

- الإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام)

المصادر 49

إهداء...

لصُنّاع المحبة والسلام
وعُشّاق الحق، والخير، والجمال

حكايات شهرزاد

بناء السلام بين أتباع الأديان والثقافات

يبدأ بقصة

المقدمة...

شهرزاد ليست واحدة من مشاهير أدب الحكايات العربية وحسب، بل نموذج لكيف تؤثر الحكايات في تغيير القناعات. لهذا كان من المهم استدعائها لتعود وتحكي قصص الحروب التي تستخدم أساس ديني وتصنع العداء بين المجتمعات.

كان من المهم أن تعود، لتقوم بتنبيه المجتمع أن مساهماتهم في نشر خطابات الكراهية والسخرية من الآخر؛ لا تؤدي إلا لمزيد من الصدامات، ولاستمرار النزاع ودوامة العنف، وتوريث أحقاد من الصعب معالجتها لاحقًا.

هناك الكثير من الحروب التي سمعنا عنها أو التي نعيشها، وهي حروب تم تغذيتها بخطابات دينية، ووضعها بقوالب قصصية ويتم روايتها للأطفال من زاوية واحدة، زاوية أن الآخر عدو، وهدفنا هو القضاء عليه. وهذا يعني أنه يتم تربية الأطفال على كراهية الآخر، وهي كراهية تدفع باتجاه التطرّف العنيف، وتؤسس لحروب مستقبلية لا تتوقف.

بدأ الخلاف بين المسلمين في سقيفة بني ساعدة قبل أكثر من ألف وأربعمئة سنة عقب وفاة النبي محمد، تقول الحكاية إنهم اختلفوا على من سيكون الخليفة، ثم ما لبث الخلاف إن توسّع حتى أصبحوا طائفتين متوزعتين بين سُنة وشيعة، مازالت دمائهم تسيل حتى اليوم.

وبدأ الخلاف بين الطوائف المسيحية في القرن الرابع الميلادي عقب انقسام الارثوذكسيين والكاثوليكيين بين القسم الشرقي البيزنطي والقسم الغربي. تقول الحكاية إن الصراع بين الطرفين بلغ لدرجة أن الحملات الصليبية الكاثوليكية هاجمت ونهبت وأحرقت عاصمة الارثوذكس، ليبدأ صراع هو الأعنف والأكثر وحشية في تاريخ حروب الطوائف.

وفي حكم الدولة المغولية في الهند، تحديدًا أثناء حكم الملك السادس ما بين القرنين العاشر والحادي عشر، بدأ الخلاف بين المسلمين والهندوس في الهند، تقول الحكاية إن السبب في ذلك هو تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على غير المسلمين، ظهرت موجات عنف حينها، ثم استمرت وزادت حدة وتوسّع، وحتى اليوم نشهد موجات عنف بين أتباع الديانتين في شرق آسيا.

حتى الحروب القائمة على العرق، بين قبيلتي الهوتو والتوتسي في رواندا شهدت حمامات من الدم، استخدم السياسيون خطابات عنف شديدة أدت للموت الجماعي الذي خيم على الجميع، وبدأ الفرز بالهوية. ومثل ذلك لكن أقل حده، هو ما يعاني منه أتباع الدين الإسلامي من صورة نمطية تتعامل معهم كإرهابيين بسبب رهاب الإسلام أو الاسلاموفوبيا.

كل هذه الحروب، نسردها لتوضيح فكرة أن تناقل الحكايات السلبية عن الآخر لا تنتهي بنهاية الحكاية، بل تشكّل ذهنية معادية لدى المستمع الذي يبدأ برفض الآخر، ويبدأ بالتعامل معه كعدو.

أبطال الحكايات...

قبل أن نبدأ سرد الحكايات، دعونا نعرّفكم على أبطالنا الذين سيحكون لكم هذه الحكايات من مجتمعاتهم..

شهرزاد، امرأة مشهورة في أدب الحكايات العربية، تحديدًا في كتاب ألف ليلة وليلة. عاشت في عصر الملك شهريار الذي تعرّض لخيانة زوجية فقرر أن يتزوج كل يوم امرأة عذراء ثم يقتلها، ولإيقاف هذا الأمر، تطوعت شهرزاد للزواج منه، وكانت تحكي له حكايات مشوقة ولا تكملها مما يُثير فضوله وانتظاره لمعرفة بقية الحكاية في الليلة التالية. ظلت هكذا لألف ليلة وليلة، وخلال هذه المدة تُغيّر سلوك الملك شهريار تجاه النساء، وأصبحت شهرزاد زوجته المحبوبة والدائمة.

علاء الدين، واحد من الشخصيات التي اخترعته شهرزاد في حكايتها، قدمته كشاب فقير يعيش مع أمه في بغداد، زاره يوم ما ساحر أوهمه بأنه عمه، وأرسله في مهمة خطيرة للحصول على مصباح سحري، وبعد أن نجح علاء الدين في المهمة، حاول الساحر الاستيلاء على المصباح، لكنه اكتشف الخدعة واحتفظ بالمصباح لنفسه، وقد ساعده جني المصباح في تحقيق أمنياته.

أبو رجل مسلوخة، من جذور الحضارة المصرية القديمة، يُعرف بالمعبود القديم، والرب الحامي للطفولة في العصرين اليوناني والروماني، وقد لعب دوراً مهمًا في مصر القديمة كرب للمرح والسرور.

ساندريلا، شابة جميلة، تعيش حياة بائسة بسبب زوجة أبها وطفلتيها، لا شك أنكم سمعتم عنها يومًا، وعن الجنية التي ساعدتها لحضور الحفل الراقص الذي أقامه الأمير وتعرّف من خلالها على ساندريلا، وأيضًا الحذاء الذي ساعد الأمير في ايجاد ساندريلا ثم الزواج بها.

سيندوري، اسطورة هندية تشبه حكاية ساندريلا، عاشت ذات الظروف التي عاشتها ساندريلا، ولكن بعد أن تزوجت الأمير، ازدادت حالة زوجة أبيها وابنتها سوءً، فعملتا في الحقول ورعاية الحيوانات، لكنهن لم ينجزن كل الأعمال، ولم يستطعن التحمل، فهربت الحيوانات من الحديقة التي أصبحت مهجورة، ثم تحولت زوجة أبيها وابنتها إلى متسولتين يبحثن عن مساعدات في لقمة العيش

وريقة الحناء، أسطورة يمنية تشبه حكاية ساندريلا، غير إنها بعد أن تزوجت الأمير، أُصيبت بالسحر الذي صنعته لها زوجة الأمير الأولى وحولتها إلى حمامة، ثم ادعت إن وريقة الحناء هربت، لكن وريقة كانت تتحول إلى سحابة ماطرة كل يوم حتى تمكنت من لفت نظر الأمير مرة أخرة، الذي ساعدها على ابطال السحر واستعادت جسدها وعاشت مع الأمير بسعادة.

حكايات شهرزاد

تمهيد...

حكاية التقاء أبطال الحكايات العالمية

في عالم الحكايات، احتلت شهرزاد مكانة مرتفعة، كإحدى مبدعات الحكايات والقصص عبر التاريـخ، وبفضل ذكائها، استطاعت أن تجعل الملك شهريار، من رجل تزوجها ليقتلها في المساء مثل بقية العذراوات اللواتي قتلهن؛ إلى رجل يؤجل قتلها كل يوم، ليستمع المزيد من حكاياتها، حتى أمضت معه ألف ليلة وليلة، وحكت له 264 حكاية، وأعادته إلى صورته الإنسانية، الصورة التي مفترض أن ترتسم في كل وجوه البشر، ليتخلصوا من الشر الذي يغلب الخير داخلهم.

وبعد أن أنهت مهمتها مع شهريار، غرقت في سبات عميق، في قصر تحيط به غابة من النخيل، يتسلل منها ضوء النهار بهدوء، يدخل في زوايا القصر، ويلامس سقفه المصنوع من العاج زجاجي، يتلألأ ليلًا، ويتحوّل إلى بوابة للخيال.

ذات يوم، تسلل الصباح إلى عيني شهرزاد وأيقظها من السبات، حمل معه أخبار مؤسفة عن عالم مليء بالصراع، وعن مجتمعات لم تعد تعرف السلام الداخلي، وفيما يبدو بأن الشر قد أوشك على الانتصار.

استيقظت على عجالة، وقبل أن تسد جوعها الذي يمتد لسنين؛ أخذت كوزًا وملأته بالماء ثم تكلمت بداخله، ولم تنتظر كثيرًا حتى بلغها الخبر الأكيد، أن الكراهية توشك أن تنتصر.

بعثت شهرزاد برقيات مستعجلة لأبطال الحكايات العالمية الآخرين، كتبت فيها:

بلغني يا أبطال الحكايات، أن هناك حروب وصراعات، وقد تأثر منها الأطفال والأمهات، وأن الكراهية قد تسللت إلى الكثير من المجتمعات، فتعالوا يا أيها أبطال، لنتحدث في هذه الأعمال.

أخذت الرياح برقيات شهرزاد وطارت بها في اتجاهات مختلفة، ذهبت إحداها إلى اليمن ووقعت بين يدي وريقة الحناء، وذهبت الثانية إلى العراق ووقعت بين يدي علاء الدين، وذهبت الثالثة إلى مصر ووقعت بين يدي أبو رجل مسلوخة، وطارت الرابعة إلى الهند ووقعت بين يدي سيندوري، فيما استقرت الأخيرة في أوروبا ووقعت بين يدي سندريلا.

استشعر الجميع المسئولية، وقرروا أن يذهبوا إلى شهرزاد.

في صباح اليوم التالي، وصل الخمسة إلى قصر شهرزاد فردًا فردًا، وما إن التم شملهم، حتى جلسوا جميعًا في طاولة واحدة تتوسط القصر، وبعد أن رحبّت بهم شهرزاد قالت:

يولد الإنسان صفحة نقية، لا أخلاق تحكمه، ولا دين ينتمي إليه، لا خير يسكنه، ولا شر يطغى عليه، لكنه يتعلم من الكلمات التي يتم تلقينها إليه. ونحن وخلال فترات زمنية عديدة، كانت حكايتنا تتناقل بين الناس ويحكوها الجدات للأطفال كنوع من التسلية، ولأننا نحن أبطال الحكايات كانت شخصياتنا متعايشة مع الآخرين، ومُحبة للجميع؛ لذلك تعلّم الناس كيف يعيشون مع بعضهم بحب، لأنهم تقمصوا شخصياتنا بالعقل اللاواعي لديهم، وأثرت على تصرفاتهم، فكانوا نماذج للتعايش مع بعضهم.

ومع صمت الضيوف استمرت شهرزاد بالحديث:

اليوم يستمع الأطفال لحكايات من منابر وأماكن مختلفة، معظمها تحوي أبطال من المحاربين وليس المتعايشين، أبطال يقاتلوا تحت راية الكراهية، وهذا سيخلق مجتمعًا يحمل في عقله اللاواعي عداء دائم ومستمر مع الآخرين، والجميع سيبقى في نوبة صدامات متعددة، ستتحول يومًا إلى صراع جماعي مجنون، وقد طلبت مقابلتكم لأنه حان الوقت لنعود، نريد أن نُلفت انتباه الناس إلى أن الكلمات التي يتم تلقينها لهم، لن تقودهم إلى السلام، بل إلى الصراع الطويل.

رحّب الجميع بكلام شهرزاد، فشكرتهم، وطلبت منهم أن يأخذوا قسطًا من الراحة.

في مساء ذلك اليوم، كان سقف القصر يسرق ضوء النجوم، من السماء ويتباهى بألوانها في الجدران الممتلئة بالصمت، كان أبطالنا معزولين عن بعضهم، فهم حتى الآن لا يعرفون بعضهم، ومن أجل كسر حاجز الصمت بينهم قررت الأضواء التي كانت تتراقص على جدران القصر أن تمسك بساندريلا وتبدأ بالرقص معها على إيقاع صوت خطوات حذائها الزجاجي وعلى موسيقى الرياح، فعلت ذلك أيضًا مع وريقة الحناء ومع سيندوري، وكانت المفاجأة أن الفتيات قمن بتأدية ذات الرقصة بتناغم تام، ما دفع علاء الدين للقول:

يا فتيات، إن رقصكن ممتع، كيف تحفظن ذات الحركات؟

توقفت ساندريلا عن الرقص حينها، والتفتت إلى علاء الدين، وقالت:

أنا راقصة بارعة، رقصي لفت انتباه جميع الحاضرين في الحفلة التي أقامها أمير البلدة ليختار عروس لابنه، ربما الفتيات سمعن عن القصة وتعلمن رقصتها.

ابتسم علاء الدين وقال:

أهلا ساندريلا، أنا سعيد بلقائك، أخبرني عنك الجني العملاق في مصباحي السحري، وقال إن هناك قصصًا مشابهة لقصتك في مجتمعات كثيرة، يبدو إن وريقة الحناء وسيندوري أشباه لقصتك، مع وجود اختلافات قليلة في تفاصيل القصة.

وردت سندريلا:

طالما اتفقنا على المضمون، فلا خلاف بالتفاصيل، نحن أسرة إنسانية واحدة، نتشابه في المضمون ونختلف في التفاصيل، تفاصيل حياتنا أو شكلنا أو مجتمعنا أو عادتنا أو معتقداتنا. هذا الاختلاف صحي وطبيعي وإنساني طالما يتم التعامل معه بشكل إنساني، أما إذا تحوّل إلى صراع فهذا يعني أن هناك خطابات كراهية تنتشر في المجتمع وتصنع هذا الصراع، سواء لادعاء الأفضلية، أو الحقيقة المطلقة.

أثنت وريقة الحناء على حديث سندريلا، ثم قالت:

قصصنا تتشابه لدى جميع الشعوب، الاختلاف فقط يظهر في طريقة التعامل مع الحدث، بنوعية العقول التي تصنع الحكاية، وبعض القصص تنتهي نهاية رائعة وبعضها تنتهي نهاية مأساوية بحسب المجتمع الذي يحكي الحكاية.

أكدت سيندوري كلام وريقة الحناء وقالت:

نحن القصة لدينا تختلف بما بعد الحدث، لأنني أتزوج وأعيش بسلام، لكن زوجة أبي وابنتها تعيش في تعاسة، وهذا أيضًا يحاكي النموذج الهندي في الحكايات الذي يؤكد أن الأخيار يعيشون بسعادة، أما الأشرار فيعيشون في بؤس.

كانت شهرزاد تستمع لهذا النقاش الدائر وتشعر بالسعادة لهذا الانسجام الذي يتشكّل لدى الفريق وبعد أن أبدت شهرزاد اعجابها بالرقص، قالت:

نقل التجار القصص من مجتمعات إلى أخرى، ربما نقلوها كما هي، أو أضافوا لها تعديلات مختلفة، وهذا ما نفهمه من تشابه الروايات في المضمون واختلافها في التفاصيل، وللأسف هناك أناس الآن، تتقاتل من أجل اثبات أن قصتهم هي الأكثر صدقًا، ربما نسوا أن كل القصص صحيحة، فهي تؤدي إلى شخصية واحدة، ومن حق كل شخص أن يتعامل مع قصته بالطريقة التي يراها مناسبة.

وتحدث علاء الدين:

شهرزاد يا من حكيتِ قصتي للملك المبجل شهريار، قد نجحتِ في بناء السلام بين زوجك وبقية أبناء جنسكِ، علمينا كيف نفعل ذلك؟

وتحدثت شهرزاد

اسمع يا علاء أنت والجميع، الخوف يجعلنا نفكر بحماية أنفسنا بأي طريقة، قد نستسلم للأمر الواقع، وقد نناضل من أجل النجاة، أنا قررت النضال ولكن بطريقة جديدة، طريقة التعليم بالتلقين، واللعب على عامل الوقت.

امسكت شهرزاد بيد علاء الدين وأخرجت الخاتم من اصبعه وقالت

لا تعتمد على الآخرين كي يساعدوك، ساعد نفسك بنفسك، لا تترك المخاوف تسيطر عليك فتخضع لها، أنت سيطر عليها، وتحكم بها لتنجو، لا تسلّم عقلك للآخرين ليفكروا بالنيابة عنك، أنت تعرف كل شيء، فقط فكر بفطرة قلبك النقي.

وهز علاء الدين رأسه في إشارة إلى أنه يتفق مع حديث شهرزاد، فالتفت إلى الفتيات اللواتي كن واقفات بجواره وقال:

نحن نحمل الخير في قلوبنا، نريد أن نقوم بإفراغه من كراهية الآخرين، فسعادة الإنسان هي مقدار الحب في قلبه، وهذا ما تعلمناه من تجاربنا البشرية.

وكان أبو رجل مسلوخة ما يزال جالسًا على الأريكة البعيدة ويستمع لهذا النقاش الدائر، كان يبدو أن الجميع قد انصرف عنه وتركوه وحيدًا هناك، ثم انتبهوا لذلك، فبادرت شهرزاد بالحديث معه، وقالت له:

يا أبو رجل مسلوخة، يا أيها المعبود القديم وحامي الطفولة، يا رب المرح والسرور في مصر القديمة، تعال وشاركنا، أنت أحد المتضررين المباشرين من خطابات الكراهية التي أثارت الرعب عنك في قلوب الأطفال. أخبرنا، لماذا ارتسمت هذه الصورة السلبية عنك، ولماذا أصبحتَ بهذه الصورة المخيفة للأطفال؟

وتحدث أبو رجل مسلوخة بعد أن أخذ نفسًا عميقًا وأطلقه:

مارسوا بحقي خطابات سلبية دمرت صورتي، أنا يا سيدتي نموذج لخطاب قام بتغيير قناعات الناس عني، دون أن يتأكدوا من صحة الحكايات التي يسمعونها، والمحزن أن من يعرف الحقيقة ويحاول إظهارها، يتهموه بالانحراف الفكري، والخروج عن عادات المجتمع وتقاليده.

شعرت شهرزاد بالأسف على هذا التحوّل في قصة أبو رجل مسلوخة، وقالت:

يجب على الجميع أن يفكروا بكيفية إزالة الستار الذي يحجب عن أعينهم النور، ولكن أريد أن أسأل هل ما زالت قصصكم متداولة، هل ما يزال الناس يتذكرونكم؟ أم أصبحتم منسيين في سهول وجبال عالم الحكايات؟

وأجابت وريقة الحناء:

منذ عشرات السنين واليمنيون يعيشون في صراع لا ينتهي، يتقاتل الرجال فيما بينهم، وتنشغل النساء بسماع قصص الحروب، والجدات بقين في الزوايا صامتات، خائفات، فاقدات لشغف الحكي، ومفتقدات لزحام الأطفال حولهن، ومتعجبات من اليمنيين الذين يجتمعون للحرب بالملايين، ويتباعدون من حول الحكايات.

وردت شهرزاد:

فهمتك يا وريقة الحناء، الخوف أصبح جزء من السلوك البشري، صنعوا محيطًا من الرهبة التي تجعل الناس قلقين من بعضهم، ويخشون من بعضهم، ويتمنون الموت لبعضهم البعض، هذا أمر مؤسف حقًا.

وتساءلت سيندوري:

كيف فعلوا ذلك؟

وردت شهرزاد:

سأجيبك عزيزتي سيندوري، في التاريخ البشري، لجأ الكثير لصناعة الخوف، يقومون بعملية هندسة للمجتمع لإعادة بناء تفكيره، وذلك من خلال نشر حكايات مغلوطة، جزء من هذه الحكايات تستهدف الآخر الذي لا يشبههم، وهذا يؤدي إلى نوبة خوف جماعي من الآخر، بالتالي يحدث انقسام في المجتمع، وتتأسس الأحقاد، ثم تتحول إلى صراع.

انتاب الحزن جميع من في قاعة القصر، ثم قال علاء الدين مخاطبًا الجميع:

هذا أمر مؤسف، والمؤسف أننا غير قادرين على عمل شيء، فقد أصبحنا منسيين في عالم البشر، واختفت قصصنا التي كانت تعلّم الناس الحب وتدعوهم للعيش معًا، وظهرت بالمقابل القصص التي تدفع الناس نحو الكراهية.. لماذا حدث هذا يا شهرزاد، وكيف يمكن أن نساهم في حل هذه المعضلة؟

وردت شهرزاد:

انتشرت خطابات الكراهية، ومع تكرارها المستمر، تصالح معها الناس، ثم تعاطوا معها بإيجابية، حتى وصل الأمر للتحريض ضد الآخرين، والدعوة للعنف تجاههم. أما نحن فسوف نساهم برواية الحكايات الإيجابية التي تزرع الخير في قلوب الناس.

وخاطبها علاء الدين:

أنتِ سيدة الحكايات، احكِ لنا كي نفهم!

وردت شهرزاد بابتسامة:

كلنا سوف نحكي، ولكن دعونا في البداية نفهم طبيعة الحروب والصراعات في المجتمعات، ولنبدأ من اليمن، نريد أن نفهم ماذا يحدث هناك، وأن نعرف طبيعة الصراع التي تخوضه، ولتحكي لنا وريقة الحناء الحكاية الأولى.

استوت وريقة الحناء في جلستها على الأريكة، ومع استواء جميع الضيوف في جلستهم للاستماع لقصة الصراع في اليمن، حتى أدركهم الصباح، فسكت وريقة الحناء عن الكلام المباح.

الحكاية الأولى

حكاية الحروب الست في اليمن

ترويها وريقة الحناء

الحكاية بعنوان: تاريخ الكراهية

(1)

كان يا ما كان، وطن متنوع المذاهب والأديان اسمه اليمن، عاش لفترات طويلة من تاريخه في تعايش وتناغم وانسجام، وكان أبناءه باختلاف انتماءاتهم الدينية والمذهبية، يشكلون نسيجًا وطنيًا واحدًا، عصيا على الانقسام، لكن الأشياء الجميلة لا تظل على الدوام.

هناك مذاهب كثيرة في اليمن ولكن ينتمي أغلبهم إلى المذهبين: الشافعي، والزيدي وحكايتنا تدور حول المعارك بين أتباع هاذين المذهبين الذين حكموا اليمن فترات متفرقة، حتى الإعلان عن قيام المملكة المتوكلية الهاشمية والتي حكمها أتباع المذهب الزيدي وسقطت عام 1962 بثورة شعبية وأعلن عن قيام الجمهورية العربية اليمنية والتي أسست لنظام اجتماعي خالٍ من التفرقة الاجتماعية، لكن الأشياء الجميلة لا تظل على الدوام، فخطابات الكراهية استهدفت أتباع المذهب، وصفتهم ب"الملكيين" و "أصحاب مطلع" و "عكفي - وهو مصطلح يطلق على عسكري الإمام، كان معروف عنه أنه ظالم، يتصرّف مع الناس بقسوة".

في بداية التسعينيات كانت الحالة السياسية في اليمن تسمح بإنشاء الأحزاب السياسية بشكل علني، أسس أتباع المذهب حزب الحق؛ للعمل بشكل سياسي على استعادة حكمهم، فيما تبنى عدد من أتباع المذهب المتدينين فكرة إحياء المذهب الزيدي عبر تأسيس تنظيم شبابي أطلقوا عليه اسم (تنظيم الشباب المؤمن) مقره صعده، وهي منطقة كثيفة بأتباع المذهب الزيدي. هذا التنظيم بدأ نشاطه بشكل ديني بحت، من جهة لنشر تعاليم المذهب الزيدي، ومن جهة لمواجهة الدعوة السلفية التي كانت قد وصلت حتى مدينة صعدة؛ عندما قام الشيخ السلفي مقبل الوادعي بتأسيس مركز عقائدي نقيض للزيدية، شرق المدينة وهو دار الحديث.

قام تنظيم (الشباب المؤمن) بإنشاء مراكز صيفية تهتم بتدريس العلوم الدينية والشرعية للمذهب الزيدي، لكن حسين بدر الحوثي قام وبدون موافقة مؤسسي التنظيم بإقحام العمل السياسي والعسكري في المراكز الصيفية.

كان زعيم الجماعة رجل سياسي، أسس بمعية آخرين حزب الحق، نال باسمه مقعدًا في أول مجالس النواب تشهدها اليمن بعد أول انتخابات ديمقراطية عام 93، لكنه بعد انتهاء الدورة البرلمانية، أعلن عدم ترشحه في الانتخابات، وتفرغه للنشاط في تنظيم الشباب المؤمن والذي كان قد نال شهرة وانتشارا واسعين.

تأثر الدارسين بالمراكز الصيفية وعدد من أتباع تنظيم الشباب المؤمن بطرح حسين الحوثي، وبدأوا بترديد شعاره الذي يدعو للموت لأمريكا وإسرائيل ويلعن اليهود، فتميزت هذه الجماعة عن غيرها بأنها جماعة الحوثي كحركة دينية سياسية، أطلقت على نفسها لاحقًا اسم أنصار الله وهم من الناحية الدينية جماعة تؤمن بالإمامة الهادوية، والامامة الهادوية هي فرقة زيدية تنتسب إلى الامام الهادي يحيى الرسي. تؤمن بأن إمام المسلمين يجب أن يكون مُختارًا من الله، وأن يكون من بيت آل النبي محمد ومن نسل الحسن والحسين ابنّي فاطمة الزهراء.

* * *

بدأت الحروب الست ورافقها خطابات كراهية متوارث ومتصاعد، توقفت أولى الحروب بعد إعلان مقتل زعيمها الذي كان مقتله خسارة كبيرة لأتباعه، فهو الأب الروحي لهم، لذا عيّنوا أخوه عبدالملك خلفًا له والذي دشن خمسة حروب انتقامية تحوّلت إلى رأي عام دولي وتدخلّت فيها دول جوار.

توقفت الحرب لكن الحرب الكلامية لم تتوقف، بل توسعت في وسائل الإعلام وأدت إلى مزيد من الانقسام، وفي أواخر العام 2010، كانت اليمن تشهد احتجاجات شعبية وسياسية ضد نظام الحكم، هذه الأحداث كانت فرصة ليعلن الحوثيين عن وجودهم السلمي في ساحات الاعتصام التي تطالب برحيل النظام، لكن خطابات الكراهية كانت وقود لمعارك غير المسلحة حدثت داخل الساحات بين أتباع جماعة الحوثي، ولجان تنظيمية يتحكم بها حزب التجمع اليمني للإصلاح وهو حزب ديني سني. استمرت الخلافات وتوسعت حتى وصلت إلى مؤتمر الحوار الوطني، وهو لقاء لمناقشة القضايا الوطنية من أجل حل الأزمة السياسية في البلاد، لكن الأحداث تصاعدت، حتى اندلعت حرب أهلية بطابع ديني، انقسم فيها الجميع.

حينها خفتت أصوات المحبة، وبرزت أصوات الكراهية، واتهم العاملون في حقل السلام بأنهم حمقى ومتواطئون، بينما تكرّس مفهوم القتال وكراهية الآخر كمصطلح يتم التسامح والتصالح معه، وانتشرت الحكايات في المدارس حول مدى شجاعة وقوة المقاتلين الذين يقتلون أخوتهم في الدين، وشركائهم في الوطن، وأقرانهم في الجنس البشري وها نحن الآن ندفع الثمن، ثمن الاختلاف الذي لم ننظر له بمحبة، بل بعداء، وهذا العداء سيتحول يومًا إلى وقود لحرب جديدة، وهكذا سنظل في دوامة حروب، ما دُمنا غير قادرين على العيش معًا بسلام.

هذه هي حكاية الحروب التي قامت على عدم فهم كل طرف للآخر، وصنعت انقسام مجتمعي وصراع ممتد لسنوات، غرست أحقاد في قلوب الجميع وإزالتها سيحتاج إلى وقت طويل وثمن باهض،

كما غرست وقود لصراع قادم بملامح طائفية بارزة، مالم ينهض الجميع، ويبدأوا في غسل قلوبهم بالمحبة، وإزالة الستار الذي يحجب عن أعينهم رؤية الحقيقة.

الحقيقة التي يجب أن يؤمن بها الجميع، أننا مخلوقات اجتماعية، خُلقنا للتعارف وليس للتعارك، لإعمار الأرض وليس لنشر وتوارث الكراهية، وإن عبادة الله، لا تستوجب تصعيد الاختلافات الدينية، ولا التركيز على اختلاف الآخر وتبادل الاتهامات، عبادة الله ليست رغبة في السيطرة على الناس بالقوة، إنها طريق نحو حب المولى، ولكلٌ يلجأ إلى دليله ليرشده الطريق.

(2)

كانت شهرزاد تستمع لما ترويه وريقة الحناء بتأمل، وتقوم بتدوين كل الملاحظات. وقفت أمام وريقة ووضعت كلتا يدها على كتفي وريقة، وقالت:

قد لا يبدو أن هناك أفقًا للحل، ففي كل يوم يزداد خطاب الكراهية اتساعا ومساحة حتى أصبح متجها للعالم أجمع، ولكن طالما هناك قلوب تنبض بالمحبة، فدورها أن تعمل من أجل وقف هذا العبث.

ثم قالت شهرزاد وهي تنظر إلى ملاحظاتها التي دونتها على كتابها:

لقد تعلمنا من قصة الحرب في اليمن أن انخراطنا في خطابات الكراهية، لابد أن يرتد علينا يومًا ما، فلكل فعل، ردة فعل، وتعلمنا أن السكوت في وجه العنف، هو مشاركة فعلية فيه، وأن تأييد طرف على آخر، هو مساهمة في زيادة الانقسام المجتمعي وهو التضحية بمستقبل أطفالنا، فلا يمكن للعنف أن يخلق سلامًا، ولا يمكن للأحقاد أن تنطفئ وسط الرماد، طالما ما تزال خطابات الكراهية تنفخ فيها. ثم نظرت شهرزاد إلى الحضور وقالت:

هناك الكثير من الدروس المستفادة من حكاية النزاع في اليمن، لا شك أنكم دونتم ملاحظاتكم، ولديكم استفسارات، من المهم أن نناقشها، نقاشًا من أجل الحل، لا من أجل الجدل، فالجدل لا يؤدي إلى حلول. وجّهت نظرها إلى سيندوري وقالت:

سيكون لدينا فرصة للنقاش بعد أن نستمع لقصصنا جميعًا، فدعونا الآن نستمع لقصة سيندوري، لتحكي لنا قصة الخلاف بين المسلمين والهندوس في الهند.

استوت سيندوري في جلستها وهي تفكر من أين تبدأ الحكاية، وما أن بدأت بالحديث حتى أدركهم الصباح، فسكتت سيندوري عن الكلام المباح.

حكايات شهرزاد

الحكاية الثانية

حكاية حروب الهندوس والمسلمين في الهند

ترويها سيندوري

الحكاية بعنوان: تنامي الكراهية

(1)

كان يا ما كان، بلد اسمه الهند، هو واحد من أقدم الحضارات في العالم، لديه تاريخ غني بالتراث الثقافي المتنوع، والفريد من نوعه، وهو موطن للكثير من أديان العالم الرئيسية مثل الهندوسية والبوذية والسيخية والجاينية، كما أنه موطن للعديد من معتقدات الشعوب الأصلية، وهذا الأمر، جعل من التعايش بين أتباع الديانات والثقافات أمرًا مقبولًا لدى الجميع. تعايش الهنود مع بعضهم ولم يلتفتوا لاختلافاتهم كمشكلة بل كمجتمع ثري بالتنوع، فأطلقوا على تعايشهم شعارًا هو الوحدة في التنوع.

وصل الدين الإسلامي إلى الهند عبر السواحل الجنوبية، أتى به التجار المسلمين العرب، فبنوا المساجد، وقاموا بالدعوة لدينهم، انتشر الإسلام بين مواطني البلاد، حتى أن العديد من الدول الإسلامية قامت في الهند، أهمها الدولة المغولية والتي تعد أقوى دولة إسلامية في الهند وأعظمها أثرًا في نواح عديدة، لاسيما في ايقاد شعلة الكراهية لدى الهندوس تجاه المسلمين على يد الملك المغولي السادس أَوْرَنِكْزِيب الذي قام بتحويل نظام الدولة إلى الصبغة الإسلامية المتشددة، دون أن يراعي التنوع الديني أو أن يسلك المنهج التوافقي الذي اتبعه أجداده في التعايش مع غير المُسلمين؛ حيث أعلن عن تطبيق الحدود الشرعية على غير المسلمين والتي أدت إلى ثورات دينية ضده، تعامل معهم بصفتهم من أهل الذمة وأرغمهم على دفع جزية، كما قام بعزل الهندوس من مناصب الدولة الكبرى، وقام بتهديم مدارسهم، وتعامل مع أصنامهم الدينية بشكل غير جيد.

* * *

في عشرينيات القرن الماضي، تحديدًا بعد الحرب العالمية الأولى؛ تأسست حركة إسلامية تدعو لاستعادة الخلافة الإسلامية، كانت الحركة عبارة عن حملة احتجاج سياسي إسلامي أطلقها مسلمو الهند البريطانية احتجاجا على العقوبات التي فُرضت على الخليفة العثماني والإمبراطورية العثمانية والتي كانت تعتبر زعيمة للمسلمين، ويبدو أنه على غرارها تأسست منظمة التطوع الوطني التي ينتمي إليها رئيس وزراء الهند الحالي ناريندرا مودي، وهي منظمة قومية هندوسية شبه عسكرية ينتمي لها كل من يؤمن بتوحيد الأمة الهندوسية.

هذا التحرك أثار لدى غاندي فكرة خلق وحدة هندوسية مُسلمة تقاوم البريطاني كعدو مشترك، على غرار الوحدة الهندوسية المسلمة التي أسسها ثالث حكام المغول وكانت من نتائجها توحّد أتباع الديانتين في معركة الاستقلال الهندية الأولى ضد المستعمر البريطاني، وهي معركة وصفوها بأنها نموذجًا للتعايش بين أتباع أكبر ديانتين في الهند.

والوحدة التي سعى غاندي إلى إعادتها، تعرضت لخطابات كراهية ممنهجة، فاندلعت مواجهات بين أتباع الديانتين في تمرد كان من المقرر أن يقاوم المستعمر، لكنه انتهى بموجة عنف جماعي بين المسلمين والهندوس.

استمرت الصدامات والصراعات بين الهندوس والمسلمين طويلًا، لاسيما بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى بلدين لتصبح هناك الهند للهندوس وباكستان للمسلمين، أدى هذا إلى سلسلة عنف قتلت الملايين، وتم تهجير ملايين الأسر المسلمة إلى باكستان، ثم ظهر النزاع على كشمير التي يحكمها هندوسي وبها أغلبية مسلمة، ما أدى إلى حروب كثيرة بين الهند وكشمير من ناحية، والهند وباكستان من ناحية أخرى، ولم تنتهِ هذه الأزمة حتى اليوم.

هل رأيتم ماذا تفعل خطابات الكراهية؟

بإمكانها أن تفعل المزيد..

أصبحت هناك جماعات متطرفة وقوات مسلحة تطوعية هندوسية مهمتها توحيد المجتمع الهندوسي لتشكيل الأمة الهندوسية، تنشط في اضطهاد المسلمين تحت شعار الدفاع عن هويتها الهندوسية.

تؤمن بعقيدة اسمها هندوتفا تقول إن المسلمين هم العدوّ الرئيسي، والعقبة التي تعيق على الهندوس معرفة هويتهم، وتقول إنه يجب التمييز بين الأديان التي تعود أصولها إلى الهند، مثل اليانية والهندوسية والبوذية والسيخية باعتبارها أديانًا هندية أو هندوسية أصيلة، فيما تعتبر المسيحية والإسلام ديانتين أجنبيتين دخيلتين، جاءتا من خارج الهند على يد الغزاة.

ساهم أعضاء تلك الجماعات في تنامي خطاب الكراهية ضد المسلمين، ولم يعد هناك سلامًا بينهم، تم استهداف أماكن العبادة والبناء على أنقاضها المعابد، زادت الصراعات وقتل الآلاف، واستخدمت الدولة أدواتها لممارسة تمييز مبني على الدين ضد المسلمين، حيث اعتمدت قوانين وسياسات تستهدف المسلمين أو تنعكس عليهم بشكل سلبي أكثر من غيرهم.

أصبحت الأخبار تتحدث عن الصراع بين الهندوس والمسلمين، عناوين رئيسية بارزة تتحدث عن تظاهرات غاضبة، تصريحات مثيرة للجدل أنتجت أزمات دبلوماسية حادة بين الهند ودول إسلامية، فيما تصاعدت أعمال العنف، والاعتقالات، والاضطهاد الديني، وتم تسجيل هجمات وصل بعضها حدّ القتل للأسف يا أصدقاء.

هناك أيادٍ أسهمت في تنامي الكراهية، نشرت قصصًا مغلوطة، وأججت الصراع بين أتباع الديانتين، هناك من وصف المسلمين بالمستعمرين والأقل انتماء للهند وأنهم يمثلون تهديدا أجنبيًا، وهناك من وصف الهندوس بعبدة البقر والإرهابيين وهو ما ساهم في تشكيل هذا الصراع الذي يستمر كل يوم، أصبح هناك انقسام واضح في المجتمع، ونزيف دموي مؤلم يكاد يكون يوميا لأتباع الديانتين وهم بالملايين.

* * *

قاطعها أبو رجل مسلوخة وقال:

والحكومة لماذا تقف في صف طرف ضد آخر؟

أجابت سيندوري بابتسامة:

التوترات والانقسامات الدينية تساعدها على البقاء في الحكم خصوصًا أنها تتبنى خطابًا قامت بتسويقه لكسب الأغلبية الدينية.

وتسألت سيندريلا بدهشة:

ولماذا يساهم الناس في انتشار كل هذا العنف؟

اجابت سيندوري بحزن:

ارتفاع نسبة الأمية مهدت الطريق أمام السيطرة على التوجهات الدينية والاجتماعية للمجتمع، كما أن استخدام الخطاب الديني كمبرر للعنف يمنح الناس شيئا من الرضى، لأن الآخرين أعداء الرب، فتتحول معركة الناس من مطالبة الحكومة بتوفير الاحتياجات الأساسية، إلى البحث عن آلية للتخلص من الآخر، من العدو الذي صنعوه له والكثير من وسائل الإعلام لم تساهم في التقريب بين أتباع الأديان بل عززت فكرة الخلاف، وساهمت في انتشار العداء.

قاطعتها شهرزاد:

اسمحي لي بسؤال؟ هل تعرّض الهندوس لأي أعمال عنف من المسلمين، أم كانوا في كل مرة هم الجناة؟

أجابت سيندوري:

عندما تنتشر الفوضى، يصبح الكثير مساهمين في العنف. ففي العشرين سنة الأخيرة تعرضت معابد هندوسية وهندوس لهجمات من مسلمين، أبرزها مذبحة تشامبا، والهجمات التي استهدفت معبد راغوناث، والهجوم على معبد أكشاردام، وتفجيرات فاراناسي الذي أسفر عن العديد من الوفيات والإصابات، وحادثة إحراق قطار أدى إلى وقوع عشرات الضحايا الحجاج الهندوس. ثم الهجوم على معبد هندوسي وقتل قائد روحي هناك. كما أنهم في حادثة أخرى قتلوا ثمانية هندوس على شاطئ ماراد في كيرالا.

(2)

شعرت شهرزاد بالحزن وهي تستمع لكل هذه الصراعات التي تتم بناءً على أساس ديني، وقالت وهي تنظر في الورقة التي دوّنت عليها ملاحظتها:

لماذا يقاتلون على معتقداتهم؟ أليس هذا الأمر سخيفًا؟

إن كنتم تريدون التأكد من لا منطقية الصراع القائم على أساس ديني، أخبروا طفلًا أن هناك شخصًا قتل آخر لأنه يخالفه التفكير، ثم أجيبوا على تساؤلاته، بضمير يقظ.

تنهدت سيندوري وقالت:

الأطفال هم الوعاء الفارغ الذي نملأه، والصلصال الذي نشكّله، والبذرة التي يجب أن نقرر كيف نغرسها، ونرعاها، وقصة الحرب في الهند، قد لامست كل طفل، ليس في الهند فقط، بل في العالم بأسره.

قال لها علاء الدين:

يا لها من حكاية كثيفة التفاصيل.

وأكدت ساندريلا:

ومتجذرة الأسباب والنتائج.

وزادت وريقة الحناء:

ولها تاريخ طويل للغاية وتحتاج إلى ألف ليلة وليلة أخرى لسرد كل حكايات البشر هناك ممن يعانون من هذا الصراع.

ضحكت شهرزاد وقالت:

لا وجود إلا لألف ليلة وليلة واحدة فقط، وعلى أي حال، هناك الكثير من الدروس المستفادة من حكاية النزاع في الهند، لا شك أنكم دونتم ملاحظاتكم، ولديكم استفساراتكم، من المهم أن نناقشها، نقاشًا من أجل الحل، لا من أجل الجدل، فالجدل لا يؤدي إلى حلول. ثم نظرت إلى سندريلا وقالت:

سيكون لدينا فرصة للنقاش بعد أن نستمع لقصصنا جميعًا، فدعونا الآن نستمع لقصة ساندريلا، لتحكي لنا قصة الخلاف بين البروتستانت والكاثوليك في أوروبا.

استوت سيندريلا في جلستها، واحتارت من أين تبدأ الحكاية. ومع عودة سيندوري إلى مقعدها حتى أدركهم الصباح، فسكتت ساندريلا عن الكلام المباح.

الحكاية الثالثة

حكاية حروب البروتستانت والكاثوليك

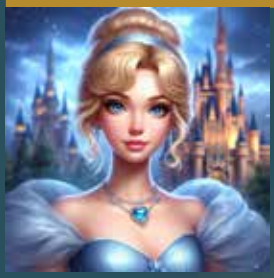

ترويها ساندريلا

الحكاية بعنوان: استثمار الكراهية

(1)

كان يا ما كان، في العقود الثلاثة الأولى من القرن الأوّل ميلاديّ، تأسس الدين المسيحي في أرض فلسطين، وأصبح اليوم الديانة الأكثر انتشارًا على امتداد قارّات العالم. تتركز أكثريّة أتباع الديانة في أوروبا والأميركيتين وأوقيانيا وجنوبيّ القارة الأفريقيّة. ينقسمون إلى طوائف متعددة أكثرها أتباعا الكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت.

بدأ الصراع بين الطوائف المسيحية في أوروبا منذ أن أصبحت المسيحية دين الدولة الرومانية في القرن الرابع الميلادي، حين حدث انقسام بين الارثوذكسية والكاثوليكية بين القسم الشرقي البيزنطي وعاصمته القسطنطينية، والقسم الغربي وعاصمته روما. بلغ الصراع بين الطرفين لدرجة أن الحملات الصليبية الكاثوليكية هاجمت ونهبت وأحرقت عاصمة الارثوذكس، القسطنطينية، وساعدت الاتراك المسلمين على إسقاط القسطنطينية بأيديهم في القرن الخامس عشر، ليبدأ صراع هو الأعنف والأكثر وحشية في تاريخ حروب الطوائف، وتنامت الكراهية، والانقسام الديني في العالم أجمع، وثم إبادة ملايين الناس في حروب كثيرة ووحشية، والتي كان أكثرها عنفا هو حرب الثلاثين عامًا.

الخلافات والصراعات والحروب في حقيقتها لم تكن بسبب العقائد الدينية، ولكنها في حقيقة الأمر لأسباب سياسية واقتصادية تخدم مصالح الملوك والأمراء المتنافسين.

* * *

قاطعتها شهرزاد متسائلة:

تحدثي عن أسماء غريبة عنّا بعض الشيء ولم تقومي بشرحها، فأغلب ضيوفنا من العالم العربي، حتى أنا، بخلاف ضيفتنا العزيزة سيندوري من الهند، فماذا تقصدين بالارثوذكس والكاثوليك وغيرها من هذه الأسماء.

خجلت سندريلا من استعجالها في سرد الحكاية معتذرة من الحضور، لتبدأ بشرح ما تقصده كلماتها قائلة:

اعذروني يا أعزاء نسيت أن أشرح لكم.

هناك الأرثوذكس وهم أتباع الكنائس الشرقية والتي انقسمت في أعقاب مجمع القسطنطينية الخامس إلى قسمين كبيرين وهما الكنيسة المصرية أو القبطية أو المرقسية، والكنيسة القسطنطينية، وينتشر أتباع الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا وعموم آسيا وصربيا ومصر والحبشة، ويتبعون أربع كنائس رئيسة لكل منها بطريك في القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكيا وأورشليم.

وهناك الكاثوليك وهم أتباع الكنائس الغربية التي يرأسها بابا الفاتيكان في روما. وينتشر أتباعها في بقاع كثيرة من العالم ويشكلون عدداً كبيراً من سكان أوروبا.

وهناك البروتستانت وهم في الأصل من أتباع الكنيسة الكاثوليكية، وكلمة بروتستانت معناها: المحتجون. فقد انشقوا عن الكنيسة الكاثوليكية في منتصف القرن السادس عشر بعد عدة احتجاجات على ممارسات بابوات الكنيسة، ومنها قضية صكوك الغفران.

وهناك الكثير من الطوائف، لكني سوف أركز على هذه الثلاث المذاهب لأنها الأكبر عددًا والأطول عمرًا وهي من خاضت حروبا كثيرة في الماضي.

في منتصف القرن السادس عشر انشق البروتستانت عن الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية بعد عدة احتجاجات على ممارسات بابوات الكنيسة صاحبتها دعوات لتجديد الخطاب الديني، قامت حينها حركة إصلاحية داخل الكنيسة أنتجت انقسامًا رئيسيًا بين أتباع الديانة الواحدة، وهو مستمر حتى اليوم، وبدأ تنامي الكراهية واستثماره، والدعوة إلى قتال الآخر، فاندلعت الحروب بينهما، وبدأ التاريـخ دورة جديدة وعنيفة من الصراعات الطائفية.

* * *

الحروب في الطوائف المسيحية تنقسم إلى قسمين، أحدهما يعود إلى ما قبل ظهور حركة البروتستانت مثل حروب الهوسيين التي استمرت 15 عامًا، والقسم الآخر بعد ظهور الحركة، وهي حروب كثيرة، لعل أبرزها حرب الثلاثين عامًا والتي تعد أهم الحروب وأكثرها عنفًا بين الكاثوليك والبروتستانت. كانت عبارة عن سلسلة من الصراعات الدامية اندلعت بين عامي 1618 و1648م وانتهت بتمزيق أوروبا، وحصدت الملايين من الضحايا، كانت المجازر التي تم ارتكابها في الحرب تشمل قتل وحرق وتهجير الناس بين القرى المتجاورة وداخل البلدة الواحدة. وقد اشتركت في هذه الحرب الوحشية معظم القوى الأوروبية الموجودة في ذاك العصر، فيما عدا إنجلترا وروسيا، وقد اندلع الصراع في البداية بشكل طائفي، لكنه تحوّل في النهاية إلى حمام دم دولي شاركت فيه ما يقارب 20 دولة أوروبية.

بدأت الحرب بخطابات كراهية قائمة على أساس ديني عام 1606 في مدينة دوناوفورت وهي إحدى مدن ألمانيا التابعة للإمبراطور الروماني الكاثوليكي، انتشرت حرب الخطابات السلبية، ودخل الجميع في مواجهة طائفية، وزاد الأمور تعقيدًا حاكم بلده اسمها بوهيميا عام 1617 بعد أن حاول الحاكم الذي كان كاثوليكيا متعصبا أن يفرض العقيدة الكاثوليكية على السكان الذين كانوا بغالبية بروتستانتية، منعهم من بناء عدد من الكنائس البروتستانتية فاندلعت ثورة عنيفة عام 1618 بلغت ذروتها عندما تم إلقاء اثنين من ممثلي الإمبراطور من نوافذ القصر الملكي في براغ، وأشعل هذا الحدث شرارة حرب الأعوام الثلاثين.

خسائر فادحة خلّفتها الحرب، أولها أعداد الضحايا، ففي أيرلندا قُتل نحو مائة ألف رجل، وفي ألمانيا قُتل ثلث الرجال، هناك قُرى تدمرت، ومناطق بأكملها أصبحت جرداء من نهب الجيوش. انتشرت المجاعات والأمراض، وهلك الملايين من سكان الولايات الألمانية والأراضي المنخفضة وإيطاليا، بينما أُفقرت الكثير من القوى المتورطة في الصراع، وانتهت هذه الحروب عام 1648م بمعاهدة وستفاليا والتي أقرّت الحرية الدينية للجميع، حتى يتمكن الجميع من العيش معًا بسلام وبلا حروب.

(2)

وحين انتهت ساندريلا من سرد حكايتها، قالت شهرزاد:

دائمًا ما يتم استثمار الكراهية في الحروب، لاسيما الحروب التي تبدأ بصراع ديني بين أتباع طائفتين، لكنها تنتهي بصراع سياسي محلي أو إقليمي أو دولي، وقد تعلمنا من هذه الحكاية أن أهم أسباب الحرب الدينية ليست في وجود عداء حقيقي بين الطوائف، ولكن لوجود رغبة في استثمار الحروب لصالح الجهات الدولية المتحاربة.

تعلمنا أن دعوات الإصلاح الديني يجب أن يتم التعاطي معها بإيجابية لأنها قد تتحوّل إلى صدام مجتمعي، وتعلمنا أن استثمار الكراهية في الصراعات والحروب الدينية هو خسارة كبيرة وطويلة، مهما كانت الشواهد تقول إن هناك أرباحًا ومكاسب من ورائها، ومهما كانت الخلافات والانقسامات بين الطوائف حاضرة، يجب أن يكون هناك فرص لإعادة التفكير، وتجديد الخطاب الديني، والنظر للأمور بإيجابية، والتعامل بشكل جيد مع السلام والتسامح والتنوير، ويجب أن نستفيد من هذا الدرس جيدًا، فأوروبا الآن لا تعش ذات الصراعات والانقسامات والحروب الدينية والكراهية الدينية، وهذا السلام لم يكن سهلًا، بل جاء بعد سنوات من الحروب والحوار والتأكد من أن الكراهية والصراع لن يقودان أحد إلا إلى الموت والدمار.

نظرت شهرزاد إلى جميع ضيوفها قائلة:

هناك الكثير من القصص المستفادة من النزاع في حالة البروتستانت والكاثوليك، لا شك أنكم دونتم ملاحظاتكم، ولديكم استفساراتكم، من المهم أن نناقشها، نقاشًا من أجل الحل، لا من أجل الجدل، فالجدل لا يؤدي إلى حلول، والان دعونا الآن نستمع لقصة علاء الدين، الذي سيروي فيها أسباب النزاع بين المسلمين السنة والشيعة.

استوى علاء الدين في جلسته ليبدأ الحكاية، ولكن ما إن بدأ الكلام، حتى أدركهم الصباح، فسكت عن الكلام المباح.

حكايات شهرزاد

الحكاية الرابعة

حكاية حروب المسلمين الشيعة والسنة

يرويها علاء الدين

الحكاية بعنوان: خلق الكراهية

(1)

كان يا ما كان، في القرن الخامس الميلادي، تأسس الدين الإسلامي في مكة، وتعرّض لعداء من قبيلة قريش التي ينتمي إليها النبي محمد بسبب أن الدين يدعو لعبادة الله الواحد، بينما اقتصاد مكة كان يعتمد على عبادة الآلهة المتعدّدة والتي كان يُحجّ إليها من كافّة أنحاء الجزيرة العربية، وكانت تُدرّ عليها ربحًا طائلًا، لكن الإسلام اليوم أصبح ثاني أكثر الديانات انتشارًا في العالم.

ينقسم أتباع الإسلام إلى فرقتين هما السُنة التي يشكل أتباعها حوالي 83% والشيعة التي يشكل أتباعها نحو 17 %، وبدأ الانقسام الأول بين المسلمين منذ وفاة النبي محمد بسبب خلاف نشأ في مكان يدعى سقيفة بني ساعدة، اجتمعوا المسلمين ليختاروا خليفتهم الجديد، واختلفوا حول من يكون، هل سعد بن عبادة أم أبي بكر الصديق، وحاليًا يعتقد أتباع السنة أن خليفة النبي محمد يجب أن يكون أبو بكر وعمر وبقية الخلفاء، بينما يرى أتباع الشيعة أن خليفته يجب أن يكون علي بن أبي طالب ثم أولاده من بعده وهم أحد عشر خليفة.

* * *

حكايتي يعرفها الجميع، وربما تعرفون إن الخلاف في سقيفة بني ساعده لم يؤدي إلى أي صدام أو صراع، لكن أحداثه ظلت متوارثة حتى مقتل عثمان بن عفان الذي ينتمي إلى بني أمية، فمقتله أثار انقسامًا ظاهرًا بين بنو أمية وبني هاشم في الفترة التي حكم فيها علي ابن أبي طالب والذي ينتمي إلى بني هاشم، وقد طالب بنو أميه من الحاكم أن يقوم بالقصاص من قتلة عثمان، لكن ذلك لم يحدث لأسباب ومبررات عديدة، وحين رأى بنو أمية أن أربعة أشهر مضت دون أن يتم القصاص لمقتل عثمان، خرج جيش يقوده طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام بالإضافة إلى عائشة زوجة النبي محمد واشتبكوا مع قوات الخليفة علي بن أبي طالب في موقعة الجمل.

مهدت هذه الموقعة لقيام معركة صفين التي تعد أولى الحروب بين المسلمين، وقد كان طرفي المعركة هم جيش الخليفة علي بن أبي طالب، وجيش والي الشام معاوية بن أبي سفيان، وقد أسست هذه المعركة لكل ما حدث بعدها من انقسام يعاني منه المسلمين حتى الآن. كان أول خروج فريق يسمى الخوارج، وهم من جنود علي ابن أبي طالب الذين انقلبوا عليه لاحقًا وقتلوه، وبعد مقتل علي بن أبي طالب، بايع ابنه الحسين معاوية، ولكن بعد وفاة معاوية وتولي ابنه يزيد الخلافة، وخروج الحسين بن علي عليه، وانتهاء هذا الخروج بمقتله بشكل مأساوي للغاية؛ بدأت الانقسامات تتعمق، وتتحول من طابع سياسي إلى طابع عقائدي.

ألف ونصف عام من الحروب التي لم تتوقف عند موقعة الجمل أو معركة صفين أو ثورة كربلاء أو معركة النهروان أو مقتل الحسين بن علي على يد قوات يزيد بن معاوية، بل استمرت حتى مقتل زيد بن علي بأوامر هشام بن عبد الملك الأموي وانطلاق الثورة العباسية الهاشمية حتى سيطرت على معظم أراضي الدولة الأموية، ومن ثم قيام العباسيين الهاشميين بقتل معظم الذكور من بني أمية، ونهاية الصراع تماماً لصالح العباسيين الذين تصارعوا مع بعض الشيعة كالعلويين وقتلوا منهم الكثير رغم أنهم من نفس الأسرة الهاشمية.

وقبل أن يكمل علاء الدين قصته قاطعته وريقة الحناء بالقول:

حتى الحروب الستة لدينا في اليمن وغيرها الكثير في تاريخ بلدي، هي امتداد لهذه الانقسامات.

التفت لها علاء الدين وهو يشير بيده علامة الموافقة قائلا:

نعم، حكاية الحروب الستة التي حكتها وريقة الحناء هي جزء يسير من تاريخ مليء بالحروب بين المسلمين، مثل الحرب العراقية الإيرانية، والعنف التاريخي للسنة ضد الشيعة أو ضد السنة بحسب من منهما الأقلية في أي بلد، غالبا ما يكون الخلاف السني والشيعي سببا في اضطهاد الآخرين مثل اضطهاد الشيعة الكشميريين بالقرب من الهند، وفي هذا الموقف تتقاطع حكايتي مع حكاية سيندوري والتي كان سببها الحاكم المغولي السادس الذي حكت عنه سيندوري قالت وإنه من أشعل الصراع بين الهندوس والمسلمين وقد نشأت الكثير من الحروب الأهلية التي تزيد من العنف الطائفي بين

المسلمين، بالإضافة إلى الكثير من التفجيرات التي حدثت خلال السنوات الماضية، مثل تفجير البصرة، وتفجير البطحاء، وتفجير مسجد الإمام الصادق، وتفجيرات بغداد، وتفجيرات زاهدان، وثورة شيعة العراق، والكثير من المجازر الحديثة مثل مجزرة البيضاء، ومجزرة الدجيل، ومجزرة حطلة، ومجزرة شيراز، ومجزرة مسجد مصعب بن عمير.

هنا رفع أبو رجل مسلوخة حاجبيه بدهشة وهو يقول:

هناك الكثير فعلا!

همس علاء الدين في وجع وهو يجيب:

لم أذكر إلا القليل جدا، فالحرب مستمرة والدماء تسيل في كل وقت تقريبا بين الجانبين.

قاطعت شهرزاد الحديث كاملا وقالت:

أريد أن أسألك يا علاء الدين، لقد أدخلتنا متاهة البدايات والمعارك دون أن نعرف أين تكمن الكراهية وكيف خُلقت رغم أنك عنوان حكايتك خلق الكراهية.

أجاب علاء الدين قائلا:

تم خلق الكراهية عبر التاريـخ والجغرافيا والإنسان، فهناك من علماء الشيعة من يقوم بتكفير أهل السنة والجماعة، والعكس صحيح، وكلا الجانبين يتهم الآخر أن تصرفاتهم مخالفة لمبادئ الدين، ويرى كلا منهما أن الآخر في ظلال وبعيد عن الدين الصحيح، وعبر التاريخ تم تعميق المسائل الخلافية الفقهية والتي عمّقت الكراهية، وزادت من فتاوى التكفير والاقصاء، فزادت معها الأحقاد، والخوف، والمعارك، والتمردات، والانتفاضات، وشيوع صفات غير جيدة يطلقها كلا منهما على الآخر، فالسنة يسمون الشيعة روافض وخوارج، بينما يسمي الشيعة السنة نواصب وتكفيريين، وهي كلها خطابات كراهية، قتل بسببها الملايين عبر التاريـخ من أقصى شرق البلاد الإسلامية إلى أقصى غربها.

(2)

مع انتهاء علاء الدين من سرد حكايته ومغادرته مقعد الحكايات، قالت شهرزاد:

لقد تعلمنا من هذه الحكاية إنه لا يوجد حدود مكانية للكراهية، فقد صُنع الخلاف في سقيفة بني ساعدة، وتطور في بصرة العراق، وتوحش في صفين بسوريا، حتى وصل إلى كل مكان تقريبًا، وتعلمنا إنه لا يوجد حدود زمانية للكراهية، فقد امتدت الحرب نحو ألف وخمس مئة عام، حتى كبرت وتضخمت وتشعبت، وأنه ليس هناك حدودًا حضارية للكراهية، فقد اخترقت أو عاشت بموازاة عشرات الحضارات من الأموية إلى العباسية والفاطمية والصفوية والعثمانية وصولًا إلى حضارة القرن الواحد والعشرين.

تعلمنا إن الكراهية تخترق الحدود الإنسانية، ويتحول الإنسان إلى قاتل لأبناء وطنه، لجاره وصديقه، لقد حولتنا الكراهية إلى مجتمعات إنسانية مهترئة ومنقسمة ومتحاربة، والأمر الخطير في خلق الكراهية، أن من يخلقها يدرك أنه يخلق شيطانا لا يموت. وعلى مر الأزمنة والأمكنة والحضارات، والمجتمعات الإنسانية تضل الكراهية تنمو وتكبر حتى تصبح عملاقا يأكل الأرواح والأجساد والإيمان والمحبة والسلام.

ثم نظرت شهرزاد إلى جميع ضيوفها وقالت:

ستكون لدينا فرصة للنقاش بعد أن نستمع لقصصنا جميعًا، فدعونا الآن نستمع لقصة أبو رجل مسلوخة من مصر، والذي سيروي فيها أسباب النزاع بين الهوتووالتوتيس في رواندا.

استوى أبو رجل مسلوخة في جلسته، وما أن بدأ الحكاية حتى أدركهم الصباح، فسكت عن الكلام المباح.

الحكاية الخامسة

حكاية حروب قبيلتي التوتسي والهوتو من رواندا

يرويها أبو رجل مسلوخة

الحكاية بعنوان: آثار الكراهية

(1)

كان يا ما كان، بلدة اسمها راوندا، دولة صغيرة يتألف سكانها من قبيلتين، الهوتو وهي أغلبية وتشكل نسبة 84% من السكان، والتوتسي الأقلية وتشكل 15%، تقع في وسط أفريقيا. تسمى رواندا بتسميات جميلة مثل جوهرة أفريقيا وبلد الالف تل لكن هذا الجمال لم ينعكس على قلوب أبناء القبيلتين الذين خاضوا حروبًا ضد بعضهم، راح ضحيتها أكثر من 800 ألف إنسان في أقل من 100 يوم، وعندما نغوص في تفاصيل الحكاية، نجد أن الخلاف بينهم بدأ منذ مئات السنين، عندما قام أبناء التوتسي بالسيطرة على المملكة وسن تشريعات مناهضة للهوتو.

وحين وقعت المملكة تحت الاحتلال الألماني عام 1984، أرسى الألمان سياسة مؤيدة للتويستي، وحين فقدت ألمانيا سيطرتها على المملكة خلال الحرب العالمية الأولى وضعتها تحت الإدارة البلجيكية التي أصدرت بطاقات هوية مكتوب فيها الانتماء الاثني للمواطنين للتمييز بينهم، وشكّلت مجلسا أعلى للحكم سلّمته لأبناء التوتسي، وفي أواخر خمسينيات القرن الماضي، وفي أثناء موجة إنهاء الوصاية البلجيكية، زادت حالات التوتر في المملكة، وتصاعدت خطابات الكراهية بين أبناء القبيلتين، وبدأت حالات العنف تصبح أكثر، وأكبر شراسة ودموية.

عام 1959، اشتعلت أحداث عنف وأشعلت معها ثورة للهوتو، قتلوا فيها المئات من التوتسي، وشرد الآلاف، وأجبروا على الفرار إلى البلدان المجاورة، انتهت الثورة بعد عامين باستيلاء الهوتو على الحكم، وقاموا بعمل استفتاء شعبي لإلغاء نظام الحكم الملكي، واستمرت الصراعات وحركات العنف بين أبناء القبيلتين، ساهم في اشعالها أولئك الذين خرجوا من منازلهم وبلدهم هاربين من الموت، وفي عام 1962 أصبحت رواندا جمهورية مستقلة يهيمن عليها الهوتو وشكّلوا حكومة من الهوتو فقط، وبقي الصراع بينهما مستمرًا، وزادت وتيرته بسبب سياسة التمييز والطبقية والتفضيل بين أبناء القبيلتين والتي أرسى قواعدها الاحتلال، وأنتجت شلالات من الدم.

نحو نصف مليون توتسي تحولوا إلى لاجئين. عدد منهم التقوا في كمبالا عاصمة أوغندا، وأسسوا الجبهة الوطنية الرواندية، مهمتها تأمين عودة المنفيين إلى وطنهم، وإعادة تشكيل الحكومة، ثم قامت بعد عامين بشن هجوم كبير على الهوتو من أوغندا، لجأ الهوتو إلى بث خطابات كراهية ضد جميع أبناء التوتسي داخل البلد ووصفتهم بالخونة، ما أدى إلى تفاقم المشاكل العرقية.

في 6 إبريل عام 1996، هجوم صاروخي إستهدف رئيس رواندا وأدى إلى سقوط الطائرة واغتياله برفقه رئيس أفريقي آخر؛ أدى إلى اشعال حربًا امتدت لعدة أسابيع من المذابح الكثيفة والمنهجية، نحو 1 مليون شخص فقدوا أرواحهم، ونحو ربع مليون امرأة تعرضت للاغتصاب بسبب انتماءها للقبيلة الأخرى.

كان السياسيون حينها يطلبون من الناس عبر الإذاعات، أن يتقاتلوا، سأنقل لكم إحدى هذه الرسائل التي تم بثها:

أعزائي المستمعين، عندما يسألني الناس لماذا أكره التوتسي، أقول: اقرؤوا التاريخ التوتسي كانوا عملاء للمحتلين البلجيكيين، لقد سرقوا أرض الهوتو خاصتنا، لقد طحنونا. والآن عادوا من جديد؛ أولئك التوتسي المتمردون. إنهم صراصير. إنهم قتلة. رواندا هي وطن الهوتو. نحن الأغلبية. هم الأقلية الخائنة والغازية. سنسحق الغزاة. سنمحو ثوار الجبهة الوطنية من على وجه الأرض. هذه آر. تي. إل. إم. إذاعة قوات الهوتو. ابقوا متيقظون. احذروا جيرانكم.

* * *

تعجب الجميع من هذا وقالت شهرزاد:

لقد تم صناعة الكراهية على مستوى شعبي ورسمي وسياسي وكل شيء.

أجابها أبو رجل مسلوخة:

بالطبع، ومن آثار تلك الخطابات أن الزوج قتل زوجته، والصديق اغتال صديقه، والجار ذبح جاره، وصار القتل بالهوية، تقاتلوا بالسكاكين والمناجل وكل شيء يمكن أن يقتل.

سألت سيندوري:

لماذا لم تهرب الضحايا من القتلة؟

أجابها أبو رجل مسلوخة:

على الأرض لا توجد مناطق جغرافية يسكنها التوتسي وحدهم، أو الهوتو وحدهم، الجميع يعيشون في نفس المكان.

هنا سألت شهرزاد:

وهل ما يزال الموت مستمرا.

أجاب أبو رجل مسلوخة:

كلا، فبعد تلك الأزمنة الدموية أدرك الجميع أن الكراهية مخيفة وخطرة، لتبدأ بعدها محاكمة الهوتو المتهمين بالتسبب في عمليات الإبادة الجماعية، رافقها عمليات تغيير مختلفة، منها العمل بالنظام القضائي الجديد، وإجراء أول انتخابات رئاسية وبرلمانية، وإجراء تعديلات في التقسيم الإداري للمحافظات، والآن عادت رواندا تشبه بلد الألف تل وجوهرة أفريقيا.

(2)

وبعد أن انتهى أبو رجل مسلوخة من سرد حكايته، شكرته شهرزاد على هذه الحكاية المحزنة، ثم قالت:

شكرًا رجل مسلوخة الذي علمتنا من خلال حكايتك إن الكراهية تصنع الدماء في كل فترة زمنية، وأن الحروب مخيفة وشرسة ومرعبة، وآثارها مدمرة ودموية.

لقد تعلمنا إن الحروب تصنع اللجوء والنزوح والفقر والموت والعداء الذي لا ينقطع.

تأكدنا أن الكراهية لا تموت، وتظل أثارها عنيفة ودموية بين كل حين وآخر، في حال لم يتم تطبيق العدالة الاجتماعية.

تعلمنا إن الكراهية تصنع الحروب الاثنية والدينية، وتخلق العصابات والقتلة، وتعزز الاضطرابات وعمليات القتل وعدم الاستقرار، وتقضي على فرص السلام والتسامح، وتعزز نفوذ المجرمين، وتزيد الفساد والتمرد والجنون.

ثم نظرت إلى جميع الضيوف وقالت:

دعونا الآن نستمع لقصة الإسلاموفوبيا، والتي سأحكيها لكم بنفسي، وعليكم أن تكونوا مستعدين لهذه الحكاية، لما لها من تأثير يطاله الكثير اليوم.

وقبل أن تبدأ شهرزاد الحكاية أدركهم الصباح، فسكت عن الكلام المباح.

الحكاية السادسة

حكاية رهاب الإسلام أو الإسلاموفوبيا

ترويها شهرزاد
سيدة الحكايات العربية

الحكاية بعنوان: صناعة عالمية للكراهية

(1)

بلغني أيها الضيوف الكرام، الحاضرين من بلدان بعيدة، وحضارات قديمة، وقصص أسطورية، وتواريـخ متباعدة، أن الكراهية بعد أن كانت تُخلق في القرى النائية، والمدن المتباعدة، والدول المتجاورة، أصبحت في عصر العولمة تُصنع على نطاق عالمي، ولمعرفة تفاصيل الحكاية، يجب أن نعود إلى البداية، بداية البداية، فدون معرفة جذور الصراع، لا يمكن معالجته.

إن جذور حكايتنا، تبدأ منذ ظهور الدين الإسلامي في شبه الجزيرة العربية، وانتشاره، وتوسعه، وهذه جذور في سياق طبيعي، لأن ظهور أي دين جديد، ينال دومًا خطابات ساخرة، لكن السياق غير الطبيعي، هو استمرار هذه الخطابات وتطورها، لتصبح خطابات عالمية، يوصم بها كل أتباع الدين، في كل مكان وزمان.

* * *

الإسلاموفوبيا كمصطلح لم يكن متعارفًا عليه، حتى العام 1997، عندما نشرت منظمة بريطانية تقريرًا باسم (الإسلاموفوبيا تحدٍ لنا جميعًا) جاء فيه من بين معاني الإسلاموفوبيا هو النظر إلى الإسلام على أنه أدنى من الغرب، واحتوى ألفاظًا غير لائقة، حتى صار يستخدم لتبرير الممارسات التمييزية تجاه المسلمين، واستبعادهم، والتضييق عليهم.

بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001، انتشر المصطلح وأصبح شائع الاستخدام بِدلالات على الأغلب لا تجعل من الخطاب المندرج في ذلك السياق خطابًا ترحيبيًا بالمسلمين، ولا صديقًا لهم، أو عادلاً في التعامل معهم، ولا إنسانيًا، ولا حواريًا، ولا متسامحًا، ولا قابلاً لوجود الإسلام والمسلمين. وتسبب في تشكيل صورة تمنع بناء جسور التواصل بين الإسلام والغرب، والحوار والتعاون والتعايش والاندماج في الحضارة الإنسانية.

وقبل أن تواصل حكايتها، سألتها وريقة الحناء وقالت:

ما معنى الإسلاموفوبيا

فقالت شهرزاد:

الاسلاموفوبيا ينقسم إلى شقين، الإسلام وهو الدين الإسلامي، والفوبيا والتي تعني رهاب، أو خوف شديد، والمصطلح يعني الخوف من الإسلام، وهو مرتبط بالكراهية له كدين، ورموز، وشخصيات، وتاريخ، وتصويره وأتباعه كمصدر للإرهاب والفوضى، واعتبار الإسلام خطر مستقبلي على الغرب وحضارته، ووصف الإسلام وتابعيه بالتخلف والرجعية والعنف والكثير من الصفات السيئة.

ثم سألتها سيندوري:

ما الذي نتج عن هذا الخوف أو الرهاب؟

فأجابتها شهرزاد:

بلغني أيتها السيندوري الهندية، وذات الطلة البهية، أنه أنتج الكثير من الكراهية، وبالأخص الكراهية الدينية التي هي أكثر شرا، وأعنف حربا، وأطول عمرا. وقد أنتج التميز والتضييق على المسلمين في ديار الغرب، والحروب على المسلمين في ديار الإسلام، والاتهامات على المسلمين في كل العالم.

وسألها أبو رجل مسلوخة بهدوء:

وهل نتج هذا الخوف من العدم؟

فأجابت شهرزاد:

كلا، فقد بلغني أيها الضيف الكريم ذو العمق التاريخي، والحضارة المجيدة، أن بعض الجماعات الإسلامية ساهمت في تعزيز الاتهام ببعض التفجيرات في دول مختلفة، وكثّف من هذا الخوف إشعال الاعلام لكل قضية بطريقة مريبة، واستناد الغرب في اتهام الإسلام إلى خلفياته وموروثه التاريخي والديني.

وسألها علاء الدين بهدوء أكثر

ما أسباب تواجد هذا الخوف أو الرهاب كما تقولين؟

بطريقتها أجابت شهرزاد:

بلغني أيها الشاب الوسيم، ذو التاريخ العظيم، والمغامرات الدائمة أن هناك مكامن سياسية، وجذور تاريخية، وأسباب اجتماعية، وظروف اقتصادية، ومظاهر إنسانية، وصور إعلامية، ومؤسسات فكرية، وشخصيات مستفيدة، ومحاربين شرسين، ومتعاطفين طيبين، ومحايدين خائفين، ودولا تتهم، وأخرى تدافع، ومجتمعات تهاجم وأخرى تبرر، والكثير مما لو حكيت سيأتي الصباح وأتوقف عن الحديث المباح، لمجموعة من الضيوف الملاح.

لا يعتقدن أحدكم أن صناعة الكراهية على مستوى عالمي لم يُحدث نتائج كارثية كما كل القصص التي قمنا بروايتها في الليالي الماضية، فقد أنتج الكثير من قبيل الكراهية الدينية التي تؤدي إلى التمييز أو العداء أو العنف والتحريض على التمييز والعنف، والكراهية على أساس الدين أو المعتقد وزيادة مستوى صدام الحضارات وزيادة الأزمات والصراعات والمواجهات والخرافات والإشكاليات والسياسات والسلبيات والتبرير والتوظيف السياسي وقلة نسب التعايش والعيش المشترك وتشويه صورة الإسلام في الغرب.

وتساءل علاء الدين:

لكنه لم ينتج الحروب والدموية؟

فأجابته شهرزاد:

بل أنتج الكثير من الاعتداءات على المسلمين ورموزهم ووصمهم بالتطرف والإرهاب بين حين وآخر، وأنتج حالات إطلاق نار على المسلمين في الشوارع والمتاجر والجوامع وحالات هجوم بالأسلحة البيضاء، والتعرض للسرقة والضرب وتدمير الممتلكات والكسر والطرد القسري والحرائق المتعمدة، ورمي القنابل وحرق نسخ من القرآن، وانتشار حالات الطعن والتفجير للسيارات والبيوت والمراكز الإسلامية ووقوع عدد من المذابح والتحرش بالنساء والصدم بالسيارات واشعال الحرائق والتخريب المتعمد والتهديدات ضد المصلين المسلمين ومحاولات الهجوم عليهم ووقوع المسلمين ضحايا الاستخبارات والاتهامات وزيادة عدد الاعتداءات والهجمات.

* * *

قبل أن تنتهي شهرزاد من سرد حكايتها، سألتها وريقة الحناء:

ما الذي نتج عن كل هذه الكراهية؟

فأجابت شهرزاد:

الكثير، مثل زيادة الجرائم والقتلى والجرحى والمتضررين، كما أنتج دوافع إجرامية، وانتقامية، واعتداءات، واتهام المسلمين بالإرهاب والتخلف والعنف والقمع، وزيادة جرائم الكراهية والتمييز ومناهضة المسلمين، وفرز الهويات، وشيوع المآسي والجرائم ضد الإنسانية، والعنصرية والإساءة والتهديد والتشويه وكره الأجانب. والتخريب والتمييز العرقي والاهانات وزيادة العبارات المسيئة دينيا والكثير مما لو حكيت سيأتي الصباح وأتوقف عن الحديث المباح، لمجموعة من الضيوف الملاح.

* * *

وبما أن شهرزاد هي راوية الحكاية لهذه الليلة، فقد أخذ علاء الدين على عاتقه سرد الدروس المستفادة من القصة، لأنه الأقرب إلى شهرزاد، فهو واحدة من القصص التي نسجتها في لياليها الألف مع الملك شهريار.

ووقف علاء الدين، وقال:

تعلمنا من هذه الحكاية أن الكراهية من الممكن أن تنمو حتى تصبح عالمية، بالتالي تجعل من الحب ينحسر حتى يصبح شأنا شخصيا، وتجعل من العنصرية مقبولة، وقد تجعل من الحروب لعبة سياسية تندلع على أساس ديني مثلما حدث في الصراع بين الهندوس والمسلمين، أو على أساس طائفي مثل حروب الكنيسة وحروب المسلمين والسنة والحروب الستة، أو على أساس اثني مثل حروب الهوتو والتوتسي.

وتعلمنا من قصة شهرزاد أن هناك قصصًا مزرية ومحزنة، ويا للبشر من يجعلون الكراهية صفة الشجعان والحب صفة الضعفاء، ويجعلون من الحرب صفة الفرسان ومن السلام صفة الجبناء، ويجعلون من العنف ميزة للرجال ومن الضعف صفة للنساء.

وتعلمنا أن العالم لن يخلو أبدا من الصراع طالما يستخدم خطابات كراهية قائمة على أساس ديني، وفي حال لم يكن هناك حوار ديني جاد بين أتباع الأديان وإصلاح للخطاب الديني، من الممكن أن تستمر الحروب وشلالات الدم.

وتعلمنا أن فقر دولة وثراء أخرى، وتخلف مجتمع وتحضر آخر لا يعني كثيرا في الاختلاف فالجميع جاهز للكراهية والحرب طالما استمرت خطابات الكراهية في التحريض على الآخرين.

وأثناء سرد علاء الدين الدروس المستفادة، قاطعته سيندوري وقالت:

لكن يمكن للجميع أن يحب الجميع، ويعيشون معًا في سلام إذا اختفت الكراهية والخطابات السامة والاتهامات الدينية والأفكار السيئة المسبقة.

واتفقت معها سندريلا حيث قالت:

بصفتي أمثل العالم الغربي هنا، فأريد أن أقول لكم أنه لا يصح التعميم تجاه الغرب بأنهم يتبنون خطابات كراهية ضد المسلمين، خصوصًا إن دولًا عدة تتعامل مع الجميع وفق قانون يحترم الحقوق والحريات، ويتعامل مع المسلمين مثلما يتعامل مع غيرهم، فالقانون لدينا فوق كل اعتبار، وخطابات الكراهية التي تسمعونها، لا يتم تبنيها بشكل رسمي، وهذا توضيح فقط حتى لا نمارس أي تعميم سلبي تجاه الآخرين، فدورنا هو معرفة دوافع الصراع، لنعمل معًا على إيجاد الحلول لها.

(2)

اتفقت شهرزاد مع حديث ساندريلا، وأخبرتها إن كل الحكايات التي تم سردها في لياليها المقمرة، ليست لتوجيه الاتهامات ضد أي طرف، ولكنها لبناء المعرفة، ونشر الوعي القائم على توضيح دوافع الصراع من أجل العمل إيقافه، ثم قالت للجميع:

ليتنقَّ القلب بنور المحبة،

ليستنرِ الوعي،

ولنُزِلِ الستار الذي يحجب عن أعيننا معًا رؤية الجمال في اختلافات الناس وتنوّع الإلهام.

كلنا أثمار شجرة واحدة، وقطرات بحر واحد

كل الناس سواسية كأسنان المشط،

وكلهم أبناء الله الذي يحبهم؛ لأن الله محبة.

ووقفت شهرزاد أمام الجميع، وأخذت ورقة وريشة من أجل تدوين الأفكار، لكن أثناء ذلك، أدركهم الصباح، فسكتوا جميعا عن الكلام المباح.

النهاية

المصادر...

(الحلقة التمهيدية)

المصدر (1) انقر هنا

المصدر (2) انقر هنا

المصدر (3) انقر هنا

المصدر (4) انقر هنا

المصدر (5) انقر هنا

المصدر (6) انقر هنا

المصدر (7) انقر هنا

(الحكاية الثانية)

المصدر (1) انقر هنا

المصدر (2) انقر هنا

المصدر (3) انقر هنا

المصدر (4) انقر هنا

المصدر (5) انقر هنا

المصدر (6) انقر هنا

المصدر (7) انقر هنا

المصدر (8) انقر هنا

(الحكاية الرابعة)

المصدر (1) انقر هنا

المصدر (2) انقر هنا

المصدر (3) انقر هنا

المصدر (4) انقر هنا

المصدر (5) انقر هنا

المصدر (6) انقر هنا

المصدر (7) انقر هنا

المصدر (8) انقر هنا

(الحكاية السادسة)

المصدر (1) انقر هنا

المصدر (2) انقر هنا

المصدر (3) انقر هنا

المصدر (4) انقر هنا

المصدر (5) انقر هنا

المصدر (6) انقر هنا

المصدر (7) انقر هنا

المصدر (8) انقر هنا

(الحكاية الأولى)

المصدر (1) انقر هنا

المصدر (2) انقر هنا

المصدر (3) انقر هنا

المصدر (4) انقر هنا

المصدر (5) انقر هنا

المصدر (6) انقر هنا

المصدر (7) انقر هنا

المصدر (8) انقر هنا

(الحكاية الثالثة)

المصدر (1) انقر هنا

المصدر (2) انقر هنا

المصدر (3) انقر هنا

المصدر (4) انقر هنا

المصدر (5) انقر هنا

المصدر (6) انقر هنا

المصدر (7) انقر هنا

(الحكاية الخامسة)

المصدر (1) انقر هنا

المصدر (2) انقر هنا

المصدر (3) انقر هنا

المصدر (4) انقر هنا

المصدر (5) انقر هنا

المصدر (6) انقر هنا

المصدر (7) انقر هنا

تم توليد كل الصور بالذكاء الاصطناعي

عن الكراهية والحروب

شعرت شهرزاد بالحزن وهي تستمع لكل هذه الصراعات التي تتم بناءً على أساس ديني، وقالت وهي تنظر في الورقة التي دوّنت عليها ملاحظتها:

لماذا يقاتلون على معتقداتهم؟ أليس هذا الأمر سخيفًا؟

إن كنتم تريدون التأكد من لا منطقية الصراع القائم على أساس ديني، أخبروا طفلًا أن هناك شخصًا قتل آخر لأنه يخالفه التفكير، ثم أجيبوا على تساؤلاته، بضمير يقظ.

المنظمة الإلكترونية للإعلام الإنساني

EOHM

هي منظمة غير حكومية وغير ربحية تعمل على إنتاج مواد إعلامية وتنفيذ مشاريع رقمية تعزز من ثقافة التنوع والسلام. تأسست في يناير 2020، كمؤسسة مستقلة تسعى لمناهضة كل أشكال العنف والتمييز وخطاب الكراهية.

www.eohm.org